غروب الآلهة

الفصل الأول:

عند النهر يقع قصر الجيبشونج، حيث يعيش جونتر، وأخته جوترونا وهاجن أخ له شقيق. جوترونا شابة ذات طلعة جميلة، وجونتر رجل ذو قوة وشجاعة معتدلـة، هاجن مخطط شرير، قوي البنية، كئيب المزاج. منذ زمن وهـو يخطـط لنفـسه الحصول على الخاتم الذي سبك بذهب الراين، إنه يقظ عـالم أن الكنـز يحرسـه التنّين، وأن سيجفريد قد حصل منه على الخاتم، وأعطاه هدية زواج لبرونهيلـدة. والآن لنعرف الخطة الماكرة التي يهيئها لتحقيق مراده.

إنه خَلَف من جهة والده ألبريخ من جماعة النيبلونج التي كانت تمـارس الـسحر الأسود؛ ولقد خطط بجعل سيجفريد ينسى برونهيلدة بواسطة شراب الحـب الـذي تقدمه له جوترونا. سيجفريد يطلب الزواج من جوترونا، والـثمن المطلـوب أن يحظى جونتر بحب برونهيلدة. كان سيجفريد تحت تأثير الشراب قد نسي كل ما له علاقة بحب برونهيلدة. وقبل أن يظهر سيجفريد أمام جونتر وجوترونا، ولا يدري أنه في جولته كان قريبا من قصر الجيبشونج، يبدأ هاجن بوضـع الأسـس لهـذه الخطة التي تبدو مستحيلة. ففي لحظة حاسمة حدث أن وجه جونتر هـذا الكـلام لهاجن: " أصغ يا هاجن، وليكن جوابك صريحا. هل أرأس أنا عرق الجيبـشونج عن شرف؟" ويجيبه هاجن: "أي نعم يا جونتر، بقيت عازبا حتى اليـوم وكـذلك جوترونا، ثم يأخذ بالحديث عن برونهيلدة بأن دائرة من النيران تحيط بالـصخرة التي تسكنها، وأن من يملك الشجاعة بشكل كاف ليخترق النار، يمكنه أن يكسبها له عروسا. إذا كان سيجفريد يفعل ذلك من أجلك ويحضرها لك عروسا، كيف تمتنع أن تكون لك؟" لقد أخفى هاجن بخبث عن أخيه الشقيق وعن جوترونا حقيقـة أن سيجفريد قد كسب برونهيلدة لنفسه، ولكنه قد أثار في نفس جـونتر الرغبـة فـي امتلاكها، وبعد هذا أوضح خطته وذكّر جوترونا أنها بشراب الحب في حوزتهـا تستطيع أن تسيطر على سيجفريد ليصبح زوجا لها.

أي تردد كان في نفس جوترونا بسبب الخطة التي وضعها هاجن، تلاشى فيما بعد حين أعلن بوق سيجفريد قربه من النهر، وحين أحضر قاربه إلى الشاطئ، وجدت

فيه البطل بجميع صفاته الجسدية الشابة ووسامته. تنسحب بسرعة لتقوم بـدورها في الخطة التي تربطه بنفسها.

يبقى الرجال الثلاثة معا. هاجن بمهارة يستلم الحديث ويسأل سيجفريد عن إنجازاته مع التنين، وماذا أخذ من الكنز، فيقول له: الخاتم فقط ويضيف أنه وضع الخاتم في حفظ امرأة يحبها.

ويسأله هاجن عن الخوذة فيشير إليه أنها معه يعلقها في حزامه.

بعد أن شرب سيجفريد أكسير الحب، فقد ذاكرته وما عاد يذكر الحب الذي كـان بينه وبين برونهيلدة. بل إنه في حالته اللاواعية تبرع أن يكسبها زوجـة لجـونتر الذي أخبره عن برونهيلدة والنار السحرية التي تحيط بـصخرتها. وأقـسم مـع جونتر أخوة الدم وغادره إلى صخرة برونهيلدة.

في تلك الأثناء زارت برونهيلدة أختها الفالكيري فالتروتة التي أخبرتها بأن فوتان عاد ذات يوم من تجواله ومعه رمحه المكسور. كان مستاء لضياع رمحه الـذي يصنع به المعاهدات ويقوم بالمساومات والتسويات - أي كل مـا يعطيـه القـوة والسلطة الموجودة على نصابه. أمر فوتان فروع الشجرة العالية، أن تكوم حـول الفالهلا، وأرسل غربانه لتتجسس وتأتيه بأخبار العالم. وكان ينتظر نهايتـه فـي الفالهلا. فالتروتة ترجو برونهيلدة أن تعيد الخاتم إلى عروسات الماء في الـراين لأن لعنة الخاتم تؤثّر على والدهما فوتان. ولكن برونهيلدة رفضت أن تتخلى عـن الخاتم الذي أعطاها إياه سيجفريد عربونا على حبه، فعـادت فالتروتـة أدراجهـا يائسة. يصل سيجفريد، متنكّرا كجونتر بالخوذة، ويطالب ببرونهيلدة زوجـة لـه. تمانع بعنف ولكن سيجفريد ينتزع منها الخاتم ويضعه في إصبعه.

الفصل الثاني:

هاجن، الذي كان ينتظر عند ضفة الراين، يحلم بوالده ألبريخ الذي يحثّه للحصول على الخاتم، فيقسم له أنه سيفعل. يصل سيجفريد عند الفجر وقد عاد إلـى شـكله الطبيعي. هاجن يستدعي جماعة الجيبشونج أن يرحبوا بجونتر وعروسه.

جونتر يقود برونهيلدة الكسيرة، التي تُدهش لرؤيتها سيجفريد. تلاحظ الخاتم في إصبعه، فيتأكّد لها خيانته. لقد شهرت به أمام أقنان جونتر. سيجفريد يقسم على رمح هاجن أن اتهاماتها كاذبة. ثم يقود جوترونا والمشاهدين إلى حفل العرس، تاركا برونهيلدة، هاجن وجونتر وحيدين على الشاطئ. جونتر يشعر بالخجل من ثورة برونهيلدة، ويوافق على اقتراح هاجن أن سيجفريد عليه أن يذبح لأنه أخلّ بشرفه مع برونهيلدة، التي تشارك أيضا بالانتقام من خيانة سيجفريد لها وتخبر هاجن عن ضعف البطل الوحيد: بأنها بالرغم من استخدام سحرها في حمايته من الأذى من قبل الأعداء، لأنها تعلم أنه لا يفر من معركة يخوضها، فلقد تركت ظهره دون حماية. هاجن وجونتر يقرران أن يغوياه إلى رحلة صيد، ليقتلاه.

الفصل الثالث:

في الغابات على ضفاف الراين، عروسات الراين ينتحبن لضياع ذهب الراين. سيجفريد افترق عن موكب الصيد ووقف يتأملهن. يطلبن منه أن يعيد إليهن الخاتم لئلا يناله الأذى باللعنة التي حلّت عليه، ولكنه تجاهل ما يخبئه له القدر المحتوم. لقد سبحن بعيدا وهن يتنبأن بموته، وأن سيدة ترثه، تعاملهن بعدل أكثر.

يعود سيجفريد إلى موكب الصيد، وبينهم جونتر وهاجن وبينما كانوا يستريحون أخبرهم عن مغامرات شبابه. هاجن يعطيه شرابا فيسترد ذاكرته، ويخبرهم عن اكتشافه لبرونهيلدة وإيقاظها بقبلة. فجأة، يطير غرابان فوق شجيرة وفيما هو يراقبهما، يطعنه هاجن برمحه في ظهره. الآخرون يتطلعون في ذعر أما هو فيسير هادئا إلى الغابات. يموت سيجفريد وهو يفكّر بذكرياته مع برونهيلدة، وتُحمل جثته في موكب جنائزي مهيب.

في قصر الجيبشونج تنتظر جوترونا عودة سيجفريد. يصل هاجن، على رأس موكب الجنازة. جوترونا تُصعق لمشاهدة جثة سيجفريد. جونتر يتهم هاجن بموت سيجفريد، فيجيب بأن سيجفريد قد نال جزاءه للحنث بيمينه، ويحاول أن ينتزع الخاتم من إصبع سيجفريد. ولما يعارضه جونتر، يهجم هاجن عليه ويقتله، ولكنه

لم يستطع أن يحرك الخاتم من إصبع البطل الميت، الذي كانت يده ترتفع مهـددة، فيتراجع.

تدخل برونهيلدة، وتتولى على عاتقها المشهد. تأمر بإشعال كومـة مـن الحطـب لإحراق جثة الميت، تكون قريبة من النهر، وتبعث غربان فوتان إلـى موطنهـا لتخبره الأخبار "التي طالما اشتاق إليها" تأخذ الخاتم وتخبر عروسات الـراين أن يأخذنه من رمادها، لأن النار تطهره من اللعنة الأبدية. وعنـدما تـشتعل نيـران المحرقة. تركب برونهيلدة جوادها جرين، وتقتحم به النيران.

إن ما يجري بعد كان من أصعب ما يتحقق في الإخراج المـسرحي فـي تـاريخ الأوبرا. فالنار تشتعل، والراين يفيض فوق ضفافه حاملا في موجاتـه عـرائس الراين. هاجن يحاول سرقة الخاتم منهن فيغرق. عروسات الماء يسبحن حـاملات الخاتم في انتصار. قصر الجيبشونج ينهار. وبينما كانت النار تزداد حدة، يظهـر قصر الفالهلا في السماء. والنار تشتعل في قصر الآلهة، حيـث يـرى الآلهـة، مختبئين من المشهد تماما. ينزل الستار.

* * *